قبس من سيرة المصطفى ﷺ

في ضوء القرآن والسنة

دراسة منهجية تبين أهمية السيرة النبوية في فهم الإسلام

تأليف
دكتور عمر يوسف حمزة



الدار المصرية اللبنانية

قبس من سيرة المصطفى ﷺ

في ضوء القرآن والسنة

دراسة منهجية تبين أهمية السيرة النبوية في فهم الإسلام

الناشـر : الـدار المصريـة اللبنانيـة

١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة

رقم الإيداع : ٨٨٧٧/ ٩٤

الترقيم الدولى : 7 - 167 - 270 - 977

جمـع : آو. تك

العنوان : ٤ ش بنى كعب متفرع من السودان الكيت كات

تليفون : ٣٤٦٣٦٣٢

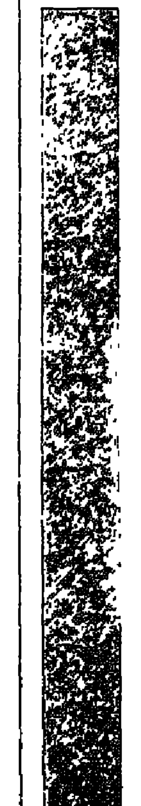
طبع : المطبعة الفنية

العنوان : ٢٢ شارع الشقفاتية ـ متفرع من الساحة ـ عابدين

تليفون : ٣٩١١٨٦٢

الطبعة الأولى : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م

تصميم الغلاف : وائل حمدان



قبس من سيرة المصطفى ﷺ

في ضوء القرآن والسنة

دراسة منهجية تبين أهمية السيرة النبوية في فهم الإسلام

تأليف

دكتور عمر يوسف حمزة

الأستاذ المساعد بقسم التفسير والحديث

كلية الشريعة - جامعة قطر

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

«بسم الله الرحمن الرحيم»

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونتوب إليه؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فلقد منَّ الله تعالى علىَّ بأن أكتب فى هذا الموضوع الهام وهو «السيرة النبوية وأهميتها فى فهم الإسلام»

تمهيد

فالسيرة النبوية: دعوة بالحسنى إلى الرقى الأخلاقى الذى تجرى وراءه الإنسانية المهذبة، إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صادقا، فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء، وإلى العامل أن يتقن عمله؛ لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه.

وإلى الصانع أن يؤدى العمل كما يجب، حيث أخذ الأجر، ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل.

وهى دعوة إلى الأب باعتباره أبا، وإلى الأم فى وضعها كأم، وإلى الأخ فى مهمته كأخ،[1]

وهى دعوة إلى كل فرد من أفراد المجتمع: أن يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته: يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«وكلكم راع ومسئول عن رعيته»** الحديث[2].

(١) السنة النبوية ومكانتها فى التشريع. د/عبد الحليم محمود ص ٦ بتصرف

(٢) البخارى ١/ ٣١٧ و ١٣/ ١٠٠ ومسلم (٩/ ١٨) وأخرجه أبو داود (٢/ ٢٩)

والسيرة النبوية دعوة للناس إلى الأمانة، حيث إنه لا إيمان لمن لا أمانة له، فلقد اجتمعت لرسول الله الكريم - صلى الله عليه وسلم - سائر الكمالات والفضائل النفسية التى اعتبرها الفلاسفة، والحكماء أصول الفضائل كلها من الصدق والشجاعة والعدل والعفة والأمانة ما لم يجتمع لغيره، فكان مستودع أمانات المشركين ونفائسهم وإن خالفوا دينه، وخالف هو شركهم وجاهليتهم؛ فلا يجدون آمن منه على ودائعهم وأموالهم وهو بمكة، وقد كان أحق بها وأهلها إذ استبقى عليا عند هجرته ليرد الأمانات إلى أهلها المشركين(١).

والسيرة دعوة إلى الرحمة العامة الشاملة التى بعث بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول الخالق جل علاه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

قال ابن عباس: هذا عام للبر والفاجر، ومن كفر به صرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة(٣).

وذكر ابن كثير من رواية الطبرانى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ قال: من تبعه كان له رحمة فى الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفى مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف(٤)

(١) مجلة مركز بحوث السنة العدد الثامن ص ٢٧٧ بتصرف.
(٢) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.
(٣)زاد المسير لابن الجوزى ج ٥ ص ٣٩٨ والآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.
(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٢.

وروى مسلم فى صحيحه [1] عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قيل يا رسول الله: ادع على المشركين، قال: **«إنى لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة»**.

وروى الدارمى: عن أبى صالح مرسلا قال: كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يناديهم يقول: **«يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»**[2] وقد وصله الحاكم فى المستدرك [3] عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وصححه، ووافقه الذهبى.

وخذ أى خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع: فستجد فى السيرة دعوة إليه بوسيلة أو بأخرى أو بثالثة.

وهى فى هذه الدعوة تنبه دائما إلى دور الأمة الإسلامية فى الأخلاق العالمية: إن دورها إنما هو دور الرائدة الراعية، وعلى الرائد دائما أن يكون المثل الأعلى، والأسوة الكريمة والقدوة الصالحة، ولقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصورة الحية الناطقة التى طبقت ـ كمبادئ إنسانية ممكنة ـ الخلق الذى رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء، والذى عبرت عنه السيرة أجمل تعبير وأبلغه.

وسوف أتناول فى هذا البحث السيرة النبوية وأهميتها فى فهم الإسلام من خلال النقاط التالية:

(1) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٠٧.
(2) سنن الدارمى ج ١ ص ٩.
(3) مستدرك الحاكم على الصحيحين ج ١ ص ٣٥.

أولا: تعريف السيرة لغة واصطلاحا.

ثانيا: فهم شخصية الرسـول الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (النبوية) من خلال حياته وظروفه التى عاش فيها؛ للتأكد من أن رسول الله الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يكن مجرد عبقرى سمت به عبقريته بين قومه، ولكنه ـ قبل ذلك ـ رسول من عند الله ـ تعالى ـ أيده الله بالمعجزات الباهرات.

ثالثا: أن يجد الإنسان بين يديه صورة المثل الأعلى فى كل شأن من شئون الحياة الفاضلة؛ كى يجعل منها دستورا يتمسك به ويسير عليه؛ ولذا جعله الله ـ تعالى ـ قدوة للإنسانية كلها إذ قال فى محكم كتابه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١).

رابعا: أن يجد الإنسان فى دراسة سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يعينه على فهم كتاب الله ـ تعالى ـ وتذوق روحه ومقاصده، إذ أن كثيرا من آيات القرآن الكريم إنما تفسرها وتبينها الأحداث التى مرت برسول الله الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وموقفه منها.

خامسا: أن يتجمع لدى المسلم من خلال دراسته لسيرة رسول الله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكبر قدر من

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة، سواء ما كان منها متعلقا بالعقيدة والأحكام والأخلاق، إذ لا ريب أن حياته - صلوات الله وسلامه عليه - إنما هى صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه.

سادسا: أن يكون لدى المعلم والداعية الإسلامى نموذج حى عن طرائق التربية والتعليم، فلقد كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - معلما ناصحا، ومربيا فاضلا، لم يأل جهدا فى تلمس أجدى الطرق الصالحة إلى كل من التربية والتعليم خلال مختلف مراحل الدعوة الإسلامية.(١)

وإن من أهم ما يجعل سيرته - صلى الله عليه وسلم - وافية بتحقيق هذه الأهداف كلها أن حياته - صلى الله عليه وسلم - شاملة لكل النواحى الإنسانية والاجتماعية التى توجد فى الإنسان كفرد مستقل بذاته، أو من حيث إنه عضو فعال فى المجتمع.(٢)

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - من خلال سيرته الطاهرة يتحدث عن إصلاح المجتمع، وعن عوامل الهدم التى تعمل على تقويضه، وعن عوامل البناء التى تعمل على إقامته على قواعد سليمة.

ومن أجل ذلك كله كان نشر السيرة النبوية واجبا دينيا، وعملا اجتماعيا كريما وواجبا وطنيا، وإصلاحا أخلاقيا ساميا.

---

(١) فقه السيرة. د/ محمد سعيد رمضان البوطى ص ١٤، ١٥، بتصرف.

(٢) فقه السيرة ص ١٥ بتصرف د/ محمد سعيد رمضان.

فإن الفهم الصحيح لسيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضرورة ملحة فى عصر تحاول الرذيلة فيه أن تعمم الانحلال الخلقى فى كل أسرة وفى كل بيت، ويحاول الفساد أن يأتى على مقدسات الأمة ومقوماتها من عرض وشرف وكرامة.

لقد أحب الله ـ تعالى ـ للإنسانية مثالا أخلاقيا كريما رسمه ـ سبحانه ـ فى القرآن الكريم قولا ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الإلهى. وكان بذلك الإنسان الكامل، ولقد وصفه ـ تعالى ـ فى كتابه الكريم فقال ـ جل وعلا ـ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(1)

وما من شك فى أن الأمة الإسلامية حينما تقتدى بالرسول الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إنما تقتدى بأعظم رجولة وإنسانية، وتقتدى بمن أحب الله ـ سبحانه ـ أن تقتدى به ؛ يقول فى محكم كتابه الكريم:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (2)

إن العمل على نشر السيرة إنما هو توجيه للاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم.

والله أرجو أن ينفع بهذا البحث ويجعله عاما، وأن يهدى به وأن يجعله ذخيرة لى فى يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين.

(1) سورة القلم، الآية: ٤.

(2) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

المبحث الأول

* **تعريف السيرة لغة واصطلاحا:**

السيرة لغة: الطريقة، وسار فى الناس سيرة حسنة أو قبيحة، والجمع سِيَر، مثل سدرة وسدر، وغلب اسم السير فى ألسنة الفقهاء على المغازى.(١)

فيتضح لنا من ذلك أن السيرة هى الطريقة، حسنة كانت أو سيئة.

قال خالد بن عتبة الهذلى:

فلا تجزعن من سيرة أنت سِرتَها .·. فأول راض سنةً من يسيرها(٢)

وفي الكتاب العزيز: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(٣)

---

(١) المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومى ص ١١٤، ومختار الصحاح ص ٣٣٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ١٧٠ والقاموس المحيط: مادة (سير).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧

وفي التنزيل العزيز أيضا يقول ـ جل علاه ـ:﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (١)

قال الفراء: طريقتها. نردها عصاً كما كانت. (٢)

وأما السيرة فى الاصطلاح:

إذا كانت السنة النبوية فى اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء أكان قبل البعثة أم بعدها. (٣)

وهى مرادفة للحديث عند الأكثر(٤)

فإذا كان هذا هو تعريف السنة فى مصطلح المحدثين، فإن سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى السنة.

لكن علماء السير نحوا بها الناحية التاريخية فبعدت عن السنة والحديث من حيث الوثوق بمحتوياتها. فهم يتساهلون فى سردها تساهلهم فى التاريخ. حتى الذين عنوا منهم بذكر الأسانيد لم يعنوا بالصحيح منها. بل جمعوا صحيح الروايات مع ضعيفها، وصرحوا بمنهجهم هذا حين قالوا: إذا روينا عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحرام والحلال والأحكام شددنا فى الأسانيد وانتقدنا فى الرجال.

(١) سورة طه، الآية: ٢١.

(٢) زاد المسير ج٥ ص ٢٨٠ ولسان العرب مادة (سير).

(٣) السنة ومكانتها: ص ٥٩، مصطفى السباعى، وتوجيه النظر/٣

(٤) دراسات فى الحديث ج ١ ص ١ د/ الأعظمى. ولمحات فى أصول الحديث ص ٣١.

وإذا روينا فى الفضائل والثواب والعقاب والسير تساهلنا وتسامحنا

ويمكننا أن نتساءل: ما الذى حملهم على هذا؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: لعلهم قصدوا أن العقائد والفروع شريعة تعتمد عليها العبادة والطاعة، وأما السيرة النبوية فهدفها العظة والعبرة، وما جاء فى السيرة يؤخذ على أنه ترغيب أو ترهيب، أو تكريم وتبجيل، أو تصوير وتحسين.(١)

خلاصة القول: ـ

أن السيرة معناها فى اللغة الطريقة سواء كانت سيئة أو حسنة، وقد استعملها الإسلام فى معناها اللغوى، ثم خصصها بطريقة النبى ـ صلى الله عليه وسلم.

ومن ناحية أخرى: فإن الكلمة حينما تطلق يراد بها سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والسيرة النبوية: هى ما أضيف إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلْقية أو خُلُقيَّة، سواء أكان قبل البعثة أم بعدها، وهى بهذا مرادف للسنة.

ولكن العلماء تساهلوا فى روايتها، وتشددوا فى رواية السنة.

(١) دراسات فى السيرة وعلوم السنة. د/ موسى شاهين و د/ صلاح شلبى ص ٥.

المبحث الثانى

* فهم شخصية الرسول ﷺ (النبوية)

وأريد فى بداية هذا المبحث أن أمهد له بكلمة تتعلق بطبيعة الرسالة المحمدية، وهى: العموم، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(1) وما كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل قبله، فموسى ـ عليه السلام ـ أرسل لبنى إسرائيل خاصة، لقد اقتصرت دعوته على بنى إسرائيل، وقد ذهب موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ إلى فرعون ليرسل معهما بنى إسرائيل فقالا له: ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾(2)

وعيسى ـ عليه السلام ـ إنما أرسل إلى بنى إسرائيل، ولم يحاول سيدنا عيسى أن يبشر بدعوته خارج فلسطين، ولم يحاول أن يجاهد من أجلها.

---

(1) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(2) سورة طه، الآية: ٤٧ وانظر: قصص القرآن لمحمد أحمد عادل وآخرين ص ١٣٧ فما بعدها.

أما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه أرسل إلى الناس جميعا، إنه أرسل إلى الناس جميعا من حيث المكان، وأرسل إليهم من حيث الزمان، فهو الرسول الدائم زمانا ومكانا (١)

يقول ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٢)

إن هذا التمهيد الموجز لا بد منه لمعرفة شخصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «النبوية» من خلال حياته وظروفه التى عاش فيها، للتأكد من أن محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن مجرد عبقرى سمت به عبقريته بين قومه، ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله ـ تعالى ـ بوحى من عنده وبتوفيق من لدنه.

إن حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واضحة بينة منذ أن خرج إلى الوجود، وحتى قبل ميلاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشرت به الكتب السماوية: التوراة والإنجيل، فقد حكى لنا القرآن الكريم ما جاء على لسان نبى الله عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾(٣)

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، الإمام الأكبر د/ عبد الحليم محمود ص ١٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الصف، الآية: ٦.

فنسب رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ من أعظم أنساب العرب.

روى الترمذى عن العباس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: « **إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين، ثم تخير القبائل، فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا**»[1] ومن المعلوم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد يتيما حيث مات والده وهو فى بطن أمه، ولم يمكث كثيرا مع أمه لخروجه من مكة مع مرضعته حليمة السعدية ـ رضى الله عنها ـ إلى بادية بنى سعد، وحدث لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثير من الإرهاصات وهو مع مرضعته السيدة حليمة السعدية مما يبشر بمكانة هذا النبى الكريم عند الخالق ـ جل وعلا ـ ويعود إلى مكة بعد حادثة شق الصدر، وتخرج به أمه إلى المدينة لزيارة قبر أبيه، وليتعرف على أهله وذوى قرباه من بنى النجار، وفى طريق العودة إلى مكة مرضت آمنة بالأبواء[2].

ثم تولى أمر تربيته جده عبد المطلب، وقد ذكَّر الله ـ تعالى ـ نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه تولى أمره فى يتمه فقال ـ جل وعلا ـ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾[3]

(١) قال السيوطى فى جامعه الصغير: حديث صحيح. وانظر الاصطفا فى سيرة المصطفى ﷺ. محمد نبهان الخباز ج ١ ص ١١.

(٢) الأبواء: قرية بين المدينة والجحفة، بينها وبين المدينة ثلاثة وعشرون ميلا. انظر معجم البلدان لياقوت الحموى ج١ ص ٧٩، ٨٠.

(٣) سورة الضحى، الآيتان: ٦، ٧.

لقد شهد لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالفضل وعلو المنزلةكل منافس ومعاند، وكل زنديق وجاحد، ولم يجد أحد من خصومه شيئا يزرى برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى قول أو فعل ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يظفر واحد من ألد أعدائه بهفوة فى جد أو هزل، فلم يجد إلى ذلك سبيلا، ولله الحمد والمنة.

أى فضل أعظم من فضل تشهد به الحسدة والأعداء؟!

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء(١).

والرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلغ من الفضائل غاياتها. واستكمل لغايات الأمور أدواتها، أن يكون لزعامة العالم مؤهلا، وقد صدق الله الكريم حيث يقول عنه فى محكم كتابه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٢).

ولقد شهد للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألد أعدائه وخصومه قديما (النضر بن الحارث) من بنى عبد الدار، حيث قال: (كان محمد فيكم غلاما حدثا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب. وجاءكم بما جاءكم، قلتم: ساحر!! لا والله ما هو بساحر)(٣).

(١) الاصطفا فى سيرة المصطفى ج ١ ص ٦٧ فما بعدها.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣) انظر كتاب (نور اليقين) للخضرى بك ص ١٧.

وهناك كثير من شهادات الأعداء لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويكفيه فخرا وشرفا شهادة خالقه وبارئه فى كتابه الكريم فى كثير من آياته البينات، والذى أريد أن أركز عليه فى هذا البحث هو أنه لا ينبغى لمسلم أن يحاول فهم شخصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أنه عبقرى عظيم، أو قائد خطير، أو داهية محنك، فهذا يخالف الحقائق الكبرى التى كانت تزخر بها حياة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم.

ومما لا شك فيه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان متصفا بكل صفات السمو والكمال الخلقى والعقلى والنفسى، ولكن كل ذلك إنما ينبع من أنه رسول من عند الله، ومن العبث أن نتجاهل هذا الأصل مطلقا، والرد على مثل هذه المحاولات الفاشلة إنما يكون بلفت النظر إلى الأصل.

كما أود أن ألفت النظر أيضا إلى أن المسلم لا ينبغى له أن يتصور أن المعجزة الوحيدة فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما هى القرآن، مادام أنه لا ينكر أن له ـ عليه الصلاة والسلام ـ سيرة يحاول أن يفهم حياته من خلالها. وأما إنكار وجود هذه السيرة فهو أمر لا مبرر له، والذى ينكر السيرة فإن عليه أن ينكر معجزة القرآن أيضا؛ إذ لم تبلغنا معجزات رسول الله المختلفة إلا من حيث بلغتنا معجزة القرآن. وأما تأويل هذا

طبق ما يستهوى النفس فهو إسفاف غريب فى تصنُّع البحث والفهم، لا يقدم عليه من كان معتزا بعقله. كريما على نفسه(١).

وإننى أسوق هذا الحديث لأننا نجد من المسلمين من ينكر المعجزات الأخرى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير القرآن. فقد حرص بعضهم على تضييق نطاق الغيبيات التى لا تتفق مع علمية الغرب المادية،(٢) فقد راح ينكركل معجزة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويستثنى من هذا ـ كما استثنوا ـ معجزة القرآن الكريم.

ونحن المسلمين لا ننكر أن معجزته الكبرى هى القرآن الكريم، ولكننا ننكر حصر معجزاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك.

والقرآن الكريم من أعظم معجزاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه جاء به فى زمن البلغاء والفصحاء، وسألهم جميعا أن يأتوا بمثله، قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٣).

(١) فقه السيرة د/ محمد سعيد رمضان البوطى ص ٩، ١٠ بتصرف.

(٢) انظر كتاب (حياة محمد: محمد حسين هيكل ص ٣٤) وكتاب (الوحى المحمدى للأستاذ رشيد رضا، وعبقرية محمد لعباس محمود العقاد، ومحمد والقوى المضادة لمحمد خلق الله) وغيرهم من الكتاب.
انظر منهج العقلية الحديثة فى التفسير د/ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الروحى ص ٧٧٢ فما بعدها بتصرف.

(٣) سورةالإسراء، الآية: ٨٨.

فأعجزهم[1] فسألهم سورة منه[2] بحيث تصدق على سورة الكوثر فعجزوا.

فما اقتصر على تعجيزهم حتى أضاف إليهم أكثر منهم وهم الجن. ومع ذلك التوبيخ الذى يأباه ذوو المروءات، ويثير الحميات - لا سيما عند العرب العرباء ذوى الأنفة والكبرياء -.

وقد اشتمل القرآن الكريم على مثل سورة الكوثر سبعة آلاف مرة. فيكون سبعة آلاف معجزة، وفيه من المعجزات وجوه كثيرة جدا [3] وليس هذا موضع التوسع فيها.

وقد ثبت لرسول الله الكريم - صلى الله عليه وسلم - معجزات أخرى غير القرآن فمن معجزاته - صلى الله عليه وسلم - انشقاق القمر[4].

وهو أعظم من انشقاق البحر؛ لأن الماء فى كل حين يفترق من حيث الجملة.

---

(١) ورد بعض معارضات تدل على السخف والخبل العقلى. وهى مذكورة في بعض كتب علوم القرآن.

انظر مثلا: الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ٢ ص ٣٢٤فما بعدها.

(٢) بنص القرآن ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ يونس، آية: ٣٨.

(٣) انظر وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم. (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافى ص ٣٦٠) فما بعدها.

(٤) انشقاق القمر ورد فى القرآن بصريح اللفظ قال - تعالى -: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ الآية.

وأجرى الله الماء من أصابعه [1] وهو أعظم من إجراء الماء من الحجر؛ لأن الحجر مكان الماء من حيث الجملة، وكلمه الحصى[2]، والذراع[3].

ومن معجزاته - صلى الله عليه وسلم - (تكثير الطعام) ببركته ودعائه، وقد حدث هذا مرات كثيرة، وأقر به من صحابته الذين لمسوه وعلموه علم اليقين، ومنها (حنين الجذع) الذى كان يضع

---

(١) نبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ وردت فيه روايات عدة فى الصحيح. والراجح أن هذه المعجزة قد تكررت مرات عدة. فقد وقعت بالزوراء عند السوق. وردت فى يوم الحديبية وفى غزوة تبوك. وقد روى ذلك من الصحابة: أنس وجابر وابن مسعود. ويمكن الوقوف على تفصيل هذه الواقعة فى الشفا ج ١ ص ٥٥٠ فما بعدها، راجع الزرقانى على الموطأ ١/ ٦٥.

(٢) تسبيح الحصى وردت فيه روايات عدة تدل على تكرار الواقعة؛ فقد روى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لما استقبلنى جبريل - عليه السلام - بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله» رواه البزار فى مسنده.

وعن جابر بن سمرة، عنه - صلى الله عليه وسلم -: «إننى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ» (صحيح مسلم) وعن أنس - رضى الله عنه - قال: أخذ - صلى الله عليه وسلم - كفا من حصى فسبحن فى يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى سمعت التسبيح، ثم صبهن فى يد أبى بكر فسبحن، ثم فى أيدينا فما سبحن.

انظر تاريخ ابن عساكر. وانظر الشفا للقاضى عياض ج ١ ص ٥٨٨ - ٥٩١.

(٣) عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن يهودية أهدت للنبى - صلى الله عليه وسلم - بخيبر شاة مصلية سمتها، فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها وأكل القوم. فقال: «ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتنى أنها مسمومة» فمات بشر بن البراء. وقال لليهودية: «ما حملك على ما صنعت؟» قالت: إن كنت نبيا لم يضرك ما صنعت، وإن كنت ملكا أرحنا الناس منك.

أخرجه الشيخان.

يده - صلى الله عليه وسلم - حين يخطب المسلمين على منبره، فاستغنى عنه - صلى الله عليه وسلم - وتركه فسمع لذلك الجذع حنين بصوت كصوت الناقة إذا حنّت على ولدها، حتى ارتج المسجد ببكاء الناس لذلك؛ ولا زال يحن حتى نزل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن المنبر وضمه وحضنه فسكن(١)

ومنها (الإسراء والمعراج)(٢).

ومنها :« ما وقع لسراقة بجواده، ولبسه حلى كسرى»(٣).

ومعجزاته - صلى الله عليه وسلم - كثيرة ليس هذا موضع استيعابها، وقد أجمع أولياؤه وأعداؤه على أنه من أصدق الناس وأكرمهم، وأشجعهم وأكثرهم أمانة وإعراضا عن الدنيا وترغيبا فى الآخرة. لم يختلف فى هذه الصفات اثنان ممن خالطه من الكفار والمسلمين. وهذه صفات لا تجتمع إلا لنبى، فمن كفر به يلزمه ألا يعتقد بنبوة غيره من الأنبياء(٤).

وخلاصة القول:-

فى فهم شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - يجب أن نعتقد الآتى:

(١) الاصطفا فى سيرة المصطفى ج ٣ ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) روى قصة الإسراء والمعراج البخارى، صحيح البخارى ج١ ص ١٥٠ وصحيح مسلم ج١ ص ١٥٠، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ج ٤ ص ١٤٠ ومجمع الزوائد للهيثمى ج ١ ص ٧٦

(٣) الاصطفا فى سيرة المصطفى ج٣ ص ٢٣٣.

(٤) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافى ص ٣٦٤ - ٣٦٥: بتصرف.

١ـ علينا أن نفهم شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال حياته وظروفه التى عاش فيها؛ للتأكد من أنه رسول الله ـ تعالى ـ أيده بالوحى.

٢ـ وصف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعبقرية المجردة فيه تَجَنٍّ على حقه ومكانته ـ صلى الله عليه وسلم ـ والهدف من هذا الوصف هو إنكار الرسالة، وإن لم يصرح أصحاب هذا الوصف به.

٣ـ أن تصوير حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أنها حياة بشرية عادية أمر يخالف الواقع، ويطمس الحقيقة الناصعة؛ لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشر، ولكنه يوحى إليه ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾(١)

٤ـ أن إنكار المعجزات والخوارق فى سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتصوير حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أنها كانت بعيدة كل البعد عن المعجزات والآيات التى يؤيد الله بها فى العادة أنبياءه الصادقين أمر لا مبرر له سوى الإنكار فحسب.

إن منبع هذه النظرية عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما قال بها بعض المستشرقين والباحثين الأجانب من أمثال

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

غوستاف لوبون، وأوجست كونت، وهيوم، وجولدزيهر وغيرهم. وأساس هذه النظرية عندهم وسببها: هو عدم الإيمان بخالق المعجزات أولا؛ ذلك لأن الإيمان بالله - عز وجل - إذا استقر فى النفس، سهل الإيمان بكل شئ.

ثم تلقف هذه النظرية منهم أناس من المسلمين، جندوا كل مساعيهم وعلومهم للتبشير بأفكار أولئك الأجانب، دون أى سبب سوى الافتتان بزخرف خداعهم، وانخطاف أبصارهم بمظهر النهضة العلمية، التى هبت فى أنحاء أوروبا(1).

٥- أن أبرز صفة فى حياة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - هى «النبوة» لا شك ولا ريب، والنبوة هى من المعانى الغيبية التى لا تخضع لمقاييسنا المحسوسة.

وإذاً فإن معنى المعجزة الخارقة قائم فى أصل كيانه - عليه الصلاة والسلام - فلا يتسنى نفى المعجزات (2) والخوارق عنه - صلى الله عليه وسلم - إلا بهدم معنى النبوة نفسها، ونسخها من

(1) فقه السيرة د/ سعيد رمضان البوطى ص ١٠٦.

(2) المعجزات: هى أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدى، سالم عن المعارضة. وهى إما حسية، تشاهد بالبصر أو تسمع، كخروج الناقة من الصخرة، وانقلاب العصا حية، وكلام الجمادات.
وإما معنوية تشاهد بالبصيرة، كمعجزة القرآن. وقد أوتى نبينا ﷺ من كل ذلك. انظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة للشيخ حافظ بن أحمد حكمى ض ٨٢. خرج أحاديثه تنعيم أحمد خليل السلفى.

حياته، وذلك يساوى إنكار الدين.

٦ـ إذا نظرنا فى حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتدبر وتأمل اتضح لنا جليا أن الله ـ جل علاه ـ أجرى على يدى المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كثيرا من المعجزات التى لا مناص من قبولها، ولا مجال لردها وإنكارها؛ لأنها نقلت إلينا بالأسانيد الصحيحة المتواترة التى ترتقى بالفكر والعقل إلى درجة القطع واليقين.

٧ـ وأخيرا إن الذى خلق المعجزات وأجراها على يدى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الله ـ تبارك وتعالى ـ خالق الكون وما فيه من معجزات.

وإن الحق الذى يجب أن يفهمه كل عاقل أن المألوف وغير المألوف معجزة فى أصله. فالكواكب معجزة، وحركة الأفلاك معجزة، وقانون الجاذبية معجزة، والمجموعة العصبية فى الإنسان معجزة، والدورة الدموية فيه معجزة، والروح التى فيه معجزة، والإنسان نفسه معجزة، والله يهدى من يشاء؛ فنسأله ـ تعالى ـ الهداية إلى صراطه المستقيم، إنه سميع مجيب.

المبحث الثالث

*** الرسول الكريم ﷺ هو المثل الأعلى فى حياة المسلم.**

إن الدارس لسيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجد بين يديه صورة المثل الأعلى فى كل شأن من شئون الحياة الفاضلة؛ كى يجعل منها دستورا يتمسك به ويسير عليه، وما من شك أن الإنسان مهما بحث عن مثل أعلى فى ناحية من نواحى الحياة فإنه واجد ذلك فى حياة الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى أنصع صورة، وعلى درجة من الكمال لم يبلغها غير رسول الله الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ[1] فى حال السلم والحرب؛ ولذا جعله خالقه قدوة للبشرية كلها على اختلاف أجناسها وألوانها وألسنتها، يقول ربنا ـ جل علاه ـ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

(١) فقه السيرة. د/ البوطى ص ١٤ ـ بتصرف.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

يقول شهيد الإسلام الأستاذ سيد قطب وهو يتحدث عن غزوة الأحزاب:

«وقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الرغم من الهول المرعب والضيق المُجْهِدِ مثابة الأمان للمسلين، ومصدر الثقة والرجاء والاطمئنان.

وإن دراسة موقفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا الحادث الضخم لما يرسم لقادة الجماعات والحركات طريقهم، وفيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وتطلب نفسه القدوة الطيبة، ويذكر الله ولا ينساه.ا هـ. (١)

والأسوة ـ بكسر الهمزة وضمها ـ: اسم لما يؤتسى به، أى: يقتدى به ويعمل مثل عمله. وحق الأسوة أن يكون المؤتسى به هو القدوة؛ ولذلك فحرف (فى) جاء على أسلوب ما يسمى بالتجريد المفيد للمبالغة، إذ يجرد من الموصوف بصفة موصوف مثله ليكون كذاته، كقول أبى خالد الخارجى: وفى الرحمن للضعفاء كافٍ.

أى: الرحمن كاف. فالأصل: رسول الله أسوة، فقيل: فى رسول الله أسوة، وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون وصف خاص يشمل الائتساء به فى أقواله بامتثال أوامره، واجتناب ما ينهى عنه، والائتساء بأفعاله

(١) فى ظلال القرآن، سيد قطب ج ٥ ص ٢٨٤١.

من الصبر والشجاعة والثبات، وفى الآية دلالة على فضل الاقتداء بالنبى - صلى عليه وسلم - وأنه الأسوة الحسنة لا محالة. ولكن ليس فيها تفصيل وتحديد لمراتب الائتساء، والواجب منه والمستحب[1]، ويقودنا الحديث عن هذه الآية إلى بيان أفعاله - عليه الصلاة والسلام - بإيجاز.

أفعال النبى ﷺ

قسم العلماء أفعال النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى ثلاثة أقسام:

أولها: أعمال تتصل ببيان الشريعة: كصلاته - صلى الله عليه وسلم - وصومه وحجه ومزارعته واقتراضه؛ فإن هذا النوع يكون شرعا متبعا. فالبيوع التى تولاها النبى - صلى الله عليه وسلم - يكون توليه لها دليلا على إباحتها، وماكان فيه من أعمال دينية يكون تفسيرا لمجمل القرآن.

وعلى ذلك نقول: إن أفعال النبى - صلى الله عليه وسلم - التى تكون بيانا للشريعة قسمان:

أفعال هى بيان لمجملها، وأفعال فعلها يدل على إباحتها، وكلا القسمين يفيد العموم فى أحكامه، فلا يختص بالنبى - صلى الله عليه وسلم.

(١) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور ج ٢٠ ص٣٠٢، ٣٠٣.

القسم الثانى :- أفعال من النبى - صلى الله عليه وسلم - قام الدليل على أنها خاصة به، ومن ذلك التزوج بأكثر من أربع زوجات[1].

القسم الثالث :- أعمال يعملها بمقتضى الجِبِلَّةِ البشرية أو بمقتضى العادات الجارية فى بلاد العرب، كلبسه - صلى الله عليه وسلم - وأكله، وما كان يتناوله من خلاله وطرق تناوله، وغير ذلك، فهذه أفعال كان يتولاها بمقتضى البشرية، والطبيعة الإنسانية، وعادات قومه. ومن الأمور ما اختلف فيه بعض العلماء، من حيث كون فعل النبى - صلى الله عليه وسلم - أو تلبسه به كان من قبيل بيان الشرع، أو من قبيل العادات، كتربيته لحيته - عليه السلام - بمقدار قبضة اليد، فذهب كثير من أهل العلم إلى أنه من السنة المتبعة. واستدلوا على ذلك بقول النبى - صلى الله عليه وسلم -: «**قصوا الشارب وأعفوا اللحي**»[2] فقالوا: إن هذا دليل على أن إبقاء اللحية لم يكن عادة بل كان من قبيل حكم شرعى.

---

(١) وكاكتفائه فى إثبات الدعوى بشهادة خزيمة وحده؛ لأن النصوص صريحة فى أن البينة شاهدان.

انظر علم أصول الفقه. عبد الوهاب خلاف ص ٤٤ دار القلم الكويت، ط ٦ سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م

(٢) ورد هذا الحديث بروايات كثيرة، فرواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الطهارة - (وفروا... والبخارى فى اللباس، والنسائى فى الزينة (ارخوا) والترمذى فى الأدب، واللفظ الذى أثبته رواه البخارى فى اللباس، ومسلم فى الطهارة.

والذين قالوا: إنه من قبيل العادة ـ لا من قبيل البيان الشرعى ـ قرروا أن النهى لا يفيد اللزوم بالإجماع، وهو معلل بمنع التشبيه باليهود والأعاجم الذين كانوا يطيلون شواربهم ويحلقون لحاهم، وهذا يزكى أنه من قبيل العادة، وقد اختار هذا القول الشيخ محمد أبو زهرة(١). ومن المستغرب بشأن هذا الرأى أنه شائع فى أواسط شيوخ ينتسبون إلى العلم، ومع قولهم هذا ـ أى أنها من قبيل العادة ـ يقدم أكثرهم على حلقها، مع أنه يفترض فى أهل العلم أن يتأسوا بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا جرم أنهم دعاة، والداعية قدوة لمن يدعوهم.

أهمية هذا الرأى هو أنه بموجب اعتبار اللحية سنة عادة فإنه يجيز حلقها طالما كانت السنن غير واجبة الأداء.

والمرتكز لرأى هؤلاء العلماء هو قاعدة أصولية أيضا، ولكن

«فى الأوامر» فالأوامر التى تصدر عن الله ـ عز وجل ـ أو عن رسوله مختلف فى مقتضياتها، أى: «إن كان الأصل فى الأمر أنه للوجوب»، ولا ينصرف عنه إلى الندب أو غيره إلا بقرينة أو أن الأصل فيه أنه للندب، أو غير ذلك مما لا متسع لتفصيله هنا(٢).

(١) انظر أصول الفقه، الشيخ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربى ص ١١٥.

(٢) اختلف الأصوليون فى صيغة «افعل» فذهب فريق منهم إلى أنه حقيقه فى الوجوب فقط ـ ونسبه الإمام الشوكانى فى «إرشاد الفحول» إلى الجمهور، وقال: «وصححه ابن الحاجب والبيضاوى، قال الرازى: وهو الحق، وذكر الجوينى أنه مذهب الشافعى، قيل: وهو الذى أملاه الأشعرى على أصحابه « ا هـ (المقصد الرابع ـ مباحث الأمر ـ الفصل الثالث) أقول: وهو مذهب الظاهرية ،والسلفيين، وذهب الآمدى فى الإحكام إلى أن صيغة الأمر حقيقية فى الطلب، والقرائن هى التى تصرفه إلى مقتضاه، وهو خمسة عشر اعتبارا «انظر الإحكام فى أصول الأحكام ـ الأصل الرابع ـ النوع الثانى ـ الباب الأول ـ القسم الأول ـ المبحث الرابع المسألة الثانية، كما أن فى المسألة تفاصيل تراجع فى كتب الأصول: مبحث الأوامر والنواهى.

وقد اصطلح أهل الأصول على جعل التأسى لقبا لاتباع الرسول فى أعماله التى لم يطالب بها الأمة على وجه التشريع[1].

ويشرح العلامة ابن كثير الآية المتقدمة، وهى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2] يقول: هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ الناس بالتأسى بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الأحزاب فى صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه ـ عز وجل ـ صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين، قال: ولهذا قال للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا فى أمرهم يوم الأحزاب:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ أى: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ـ صلى الله عليه وسلم؟! ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿ **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾[3].

---

(١) انظر التحرير والتنوير ج ٢٠ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) تفسير ابن كثير ٣ ص ٤٠٦ وانظر زاد المسير فى علم التفسير ج ٦ ص ٣٦٨.

والتأسى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو اتباع للقرآن الكريم؛ لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يجسد القرآن بسلوكه القولى والعملى، وخير ما يصف لنا ذلك هو ما روى عن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ حينما سئلت عن خلق رسول الله ـ صلى الله عليه ولم ـ فقالت: **«كان خلق رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ القرآن، ثم قالت: أتقرأون سورة المؤمنين؟**

قلنا: نعم، فقالت ليزيد بن بابنوس: اقرأ، فقرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ حتى بلغ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾ الآيات(١).

وقد أثنى الله ـ تعالى ـ على خلق نبينا الكريم فى القرآن بقوله ـ جل شأنه ـ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٢).

قال أهل العلم: المراد بالخلق العظيم هو الإسلام والدين، حكى ذلك الواحدى عن الأكثرين.

وقيل: هو القرآن، روى هذا عن الحسن والعوفى، وقال قتادة: هو ماكان يأتمر به من أمر الله وينتهى عما نهى الله عنه. قال الزجاج: إنك على الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات من ١ ـ ٥، وانظر كتاب أخلاق النبى ﷺ للحافظ الأصبهانى ص ٢٨.
(٢) القلم، آية: ٤.

وقيل هو: رفقه بأمته. وهذه الأقوال يمكن أن تكون جميعا معنى للآية الكريمة، فلا شك أن أخلاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانت تمثل الإسلام والذين الذى جاءت أحكامه فى القرآن الكريم، فكان - صلى الله عليه وسلم - متبعا لأحكام القرآن، منفذا لأوامره متجنبا لنواهيه، ولا غرو أن تصف أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - خلق رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - بقولها: **«وكان خلقه القرآن»**(١).

ولا عجب أن يكون الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - على هذا الخلق العالى فإنه اقتدى بهدى الرسل جميعا - عليهم الصلاة والسلام - كما أمره ربه بعد أن ذكرهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾(٢). فإن الأنبياء قد وصفهم الله - تعالى - بالهداية والإحسان والصلاح والفضل على العالمين، والهداية إلى الصراط المستقيم، وبأنهم أوتوا الكتاب والحكم والنبوة، ثم اقتدى بهم رسولنا - صلى الله عليه وسلم - فى هداهم وأخلاقهم ومناقبهم، ومن يتخلق بأخلاق هؤلاء الرسل الكرام جميعا، ويهتدى بهداهم فى أقواله وأفعاله وأحواله. لا شك أنه يكون على أعظم خلق وأكمل هداية(٣).

---

(١) انظر فتح القدير للشوكانى ج ٥ ص ٢٦٧ وانظر: المسند لأحمد ٦/٥١، والمستدرك ٢/٤٩٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٣) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم ص ١٩٥ بتصرف د/ محمد أبو النور الحديدى، وانظر زاد المسير لابن الجوزى ج ٨ ص ٤٢٨، والدر المنثور للسيوطى ج ٦ ص ٤٩٩ وتفسير ابن كثير، الجزء الرابع، فى تفسير القلم، آية: ٤.

ومن كان هذا شأنه كان أسرع الناس فى الخيرات وأبعدهم عن المعاصى والموبقات.

ومن كانت هذه أخلاقه كان هو المثل الأعلى فى حياة المسلم، والقدوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا.

خلاصة القول:-

أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن إنسانا عاديا، وإنما هو شخصية فذة امتازت بقوى بدنية وعقلية ونفسية وروحية تكاد تكون خارقة للعادة، وهو بهذه الأخلاق العالية كان المثل الأعلى للمسلم، كما كان المثل الأعلى فى سلوكه الفردى، وفى قيامه بحق الله تعالى، وفى صِلاَتِه بأسرته وأصحابه وسائر أصدقائه ومعاشريه.

وفضلا عن ذلك فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان المثل الأعلى فى تضحيته من أجل الحق ومواجهته الصعاب التى تعترضه بقوة وبسالة.

وهو المثل الأعلى فى حربه وسلمه، فى أحكامه وقضائه، فى قيادته وسياسته، وفى زهده فى الدنيا وعزوفه عنها.

فكان العابد المتبتل، والقاضى العادل، والسياسى المحنك والهادى الرشيد، والأب الحانى، والمعلم البار، والقائد المظفر، والصديق الوفى، والزوج الرقيق، والنبى الصالح الذى لم يعرف الناس بشرا سبقه فى كماله، أو لحق به.

وهو بهذا كان القدوة الطيبة، والكمال المجسم والنموذج المحتذى.

وإذا أردنا تحديد مكانة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعلينا مراجعة القرآن الكريم، لمعرفة منزلةالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ضوء آياته البينات، وبدراسة آيات القرآن الكريم نجد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تتمثل وظيفته فيما يأتى:

١ ـ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المبين للكتاب العزيز، قال ـ جل شأنه ـ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

٢ ـ وضحت آيات القرآن الكريم أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الأسوة الحسنة التى يجب على المسلمين اتباعها، يقول ـ تعالى ـ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٢).

٣ ـ وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ مطاع وجوبا، قال ـ جل شأنه ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾(٣). وقال ـ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

تعالى ـ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾(١)

٤ ـ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب سلطة تشريعية(٢). قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٣).

تضمنت هذه الآيات الأمر بالإيمان بالله ورسوله، كما تضمنت مقتضى هذا الإيمان وهو اتباع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يأمر به ويشرعه، واتباعه كذلك فى سيرته وعمله، ولا يكفى الإيمان به بالقلب ما لم يتبع الإيمان الاتباع العملى الكامل لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يبلغه عن ربه، وفيما يشرعه ويَسنه(٤) ومما هو معلوم أن الله ـ تعالى ـ بعث رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكارم الأخلاق، كما ورد عنه فى الحديث المشهور، فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**بعثت لأتمم محاسن الأخلاق**»(٥).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٢) دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه ج ١ ص ١٣ ـ د/ محمد مصطفى الأعظمى.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨.

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزى ج ٣ ص ٢٧٢، ٢٧٣ وتفسير ابن عطية ج ٦ ص ١٠٤.

(٥) رواه الإمام مالك؛ فى الموطأ، ولفظه: «بعثت لأتمم حسن الأخلاق» ـ وقد قال فى شرح الزرقانى: إن الحديث مروى برجال الصحيح عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، رواه أحمد وقاسم بن أصبح، والحاكم وغيرهم، والرواية المشهورة: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

٥ ـ إن ما صدر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أقوال وأفعال فى حال من الحالات الثلاث التى بيناها فهو من سنته، ولكنه ليس تشريعا ولا قانونا واجبا اتباعه.

وأمّا ما صدر عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أقوال وأفعال بوصف أنه رسول ومقصود به التشريع العام، واقتداء المسلمين به فهو حجة على المسلمين، وقانون واجب اتباعه(١).

٦ ـ فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المثل الأعلى فى طريقته فى الحياة، فكل ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير مقصود به التشريع واقتداء الناس به لاهتدائهم. إلا ما صدر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودل الدليل الشرعى على أنه خاص به، وأنه ليس أسوة فيه فليس تشريعا عاما، كما وضحنا ذلك بالأمثلة فيما تقدم.

هذا وبالله التوفيق.

---

(١) انظر علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف ص ٤٤ بتصرف، وأصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة ص ١١٤، ١١٥ بتصرف..

المبحث الرابع

*** دراسة سيرة رسول ﷺ تعين على فهم القرآن الكريم فهما صحيحا.**

إن الذى يدرس سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجد فيها ما يعينه على فهم القرآن الكريم، وتذوق روحه ومقاصده؛ إذ أن كثيراً من آيات القرآن إنما تفسرها وتوضحها الأحداث التى مرت بالمصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وموقفه من تلك الأحداث.

كيف عرض القرآن الكريم سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم؟

من المعلوم أن القرآن الكريم هو المصدر الأول لفهم الملامح العامة لحياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد عرض القرآن الكريم للسيرة النبوية بأحد أسلوبين:ـ

الأول: سرد بعض مشاهد من حياته وسيرته.

الثانى: التعليق على الوقائع والأحداث، التى تَعْرِضُ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أما فيما يتعلق بالأسلوب الأول فإننا نجد القرآن الكريم يتناول جوانب من حياته وسيرته، وذلك كالآيات التى نزلت فى وصف مراحل الدعوة الإسلامية(١).

(١) لقد مرت الدعوة الإسلامية بأربع مراحل:

أ ـ المرحلة الأولى: الدعوة سرا، واستمرت ثلاث سنوات.

ب ـ المرحلة الثانية: الدعوة جهرا وباللسان فقط دون قتال. ونزل القرآن الكريم بأمر الرسول أن يجهر بالدعوة حينما نزل عليه قول الحق ـ جل شأنه ـ : ﴿ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ﴾ سورة الحجر آية ٩٤، وقال له خالقه: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين* فإن عصوك فقل إنى برئ مما تعملون. وتوكل على العزيز الرحيم * الذى يراك حين تقوم * وتقلبك فى الساجدين ﴾ الشعراء ٢١٤ ـ ٢١٩ وحين استجاب الرسول ﷺ لأمر ربه وقام بتنفيذه، وقد صعد على الصفا فجعل ينادى: يا بنى فهر، يا بنى عدى، واكتنفه الناس من كل جانب، قال بعد أن بين لهم ما كان عليه قِبَلَ هذه الدعوة: «فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم. . ألهذا جمعتنا؟!

فنزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ السورة كاملة. وهذا الخبر رواه الشيخان: رواه البخارى ج ٨ ص ٥٦٧، ورواه مسلم ج ١ ص ١٩٥ بمعناه. ورواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره ج ٣٠ ص ٣٣٦، وأورده ابن الجوزى فى زاد المسير ج ٩ ص ٢٥٨، وأورده السيوطى فى الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٨، وزاد نسبته لغير واحد من أهل العلم.

جـ ـ المرحلة الثالثة: الدعوة جهرا، مع قتال المعتدين والبادئين بالقتال، واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية.

د ـ المرحلة الرابعة: الدعوة جهرا مع قتال كل من وقف فى سبيل الدعوة أو امتنع عن الدخول فى الإسلام، وهذه المرحلة هى التى استقر فيها أمر الشريعة الإسلامية، وحكم الجهاد فى الإسلام.

انظر: كتاب (خاتم النبيين ـ صلى الله عليه وسلم ـ للإمام محمدأبو زهرة ج ١ ص ٣٢٢، ٣٢٣، وفقه السيرة د. البوطى ص ٦٢.

ومن ذلك آيات العتاب التى تبين جزءاً مهماً من سيرته عليه الصلاة والسلام[1].

كما وردت آيات تتحدث عن استماع نفر من الجن لرسول الله حين انصرافه من الطائف[2].

وتحدثت آيات أخرى عن معجزة الإسراء والمعراج[3]. وقد عرض القرآن الكريم كذلك لهجرته حينما تآمر المشركون على

(١) وذلك حينما جاء بعض زعماء قريش إلى رسول الله ـ صلى عليه وسلم ـ فانصرف إليهم يكلمهم ويشرح لهم طمعاً فى هدايتهم. وقد أعرض عن الصحابى الضرير عبد الله بن أم مكتوم حينما مر بهم فوقف إلى جانبهم يستمع، واخذ هو الآخر يسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان ذلك منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حرصا على الفرصة أن لا تفوته، وأملا فى أن يجيب عبد الله بن أم مكتوم فى أى وقت آخر، فعاتبه الله على ذلك فى سورة «عبس» وأنكر عليه اجتهاده هذا.

ويؤخذ من هذا أنه ليس لأحد من الناس أن يغير شيئا من أحكام الإسلام ومبادئه، أو يتجاوز شيئا من حدوده، أو يستهين بها باسم اتباع الحكمة فى النصيحة والدعوة؛ لأن الحكمة لا تعتبر حكمة إلا إذا كانت مقيدة ومنضبطة ضمن حدود الشريعة ومبادئها وأخلاقها.

(٢) فقد أورد قصة ذلك ابن إسحاق فى سيرته، وهذا دليل على وجود الجن، وأنهم مكلفون، وأن منهم من آمن بالله ورسوله، ومنهم من كفر ولم يؤمن، وقد ارتفعت هذه الدلالة إلى درجة القطع، بحديث القرآن عنهم فى نصوص قاطعة صريحة، كالآيات التى فى صدر سورة الجن، وكقوله ـ تعالى ـ فى سورة الأحقاف: ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ويجركم من عذاب أليم ﴾.

وقد أورد قصة الجن التى ساقها ابن إسحاق ورواها ابن هشام فى سيرته، فقد ذكرها البخارى ومسلم والترمذى على نحو قريب وبتفصيل آخر. انظر صحيح البخارى ج ٦ ص ٧٣، وفتح البارى ج ٨ ص ٤٧٣، وانظر: عيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ١١٨.

(٣) قال ـ تعالى ـ: ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ﴾ الآية. سورة الإسراء، آية: ١.

قتله[1] وقد وصف القرآن بعض غزواته مثل غزوة بدر[2] وأحد[3] والخندق[4] وحنين التى كانت درسا فى العقيدة الإسلامية، وقانون الأسباب والمسببات من نوع ذلك الدرس الذى أوحت به غزوة بدر، بل هو متمم له.

فإذا كانت موقعة بدر قد قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئا فى جنب كثرة أعدائهم إذاكانوا صابرين ومتقين، فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين أن الكثرة أيضا لا تفيدهم إذا لم يكونوا صابرين ومتقين.

---

(١) قال ـ تعالى ـ: ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ الأنفال، آية: ٣٠ ويقول جل علاه: ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ﴾ الآية. سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٢) غزوة بدر الكبرى التى أعز الله ـ تعالى ـ فيها الإسلام ونصر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين، نزلت فيها آيات كثيرة منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ سورة آل عمران، آية: ١٢٣، كما نزلت فيها آيات أخرى تنظم توزيع الغنائم كما فى سورة الأنفال: ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين ﴾ الآيات: ٤١ ـ ٤٥.

(٣) أنزل الله ـ تعالى ـ فى غزوة أحد آيات آل عمران تعليقا على إرجاف اليهود والمنافقين، وبيانا لحكمة ما حصل فى غزوة أحد، هى تبدأ بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ سورة آل عمران ١٣١ ـ ١٦٨، وانظر البخارى ج ٥ ص ٤٩.

(٤) ونزلت فيها سورة الأحزاب، وبينت كل ما يتعلق بظروف هذه الغزوة، وأن الله ـ تعالى ـ نصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

كما نزلت آيات من كتاب الله ـ تعالى ـ فى تقرير العبرة فى غزوة «بدر» فقد نزلت آيات منه أيضا فى تقرير العبرة التى ينبغى أن تؤخذ من «حنين» وأنزل الله ـ جل علاه ـ هذه العظة البليغة فى كتابه الكريم: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

كما تناولت آيات الكتاب العزيز قصة زواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أم المؤمنين زينب بنت جحش ـ رضى الله عنها ـ يقول ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾(٢).

إلى غير ذلك من الآيات التى تناولت هذا الجانب من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٢٥ ـ ٢٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

أما الأسلوب الثاني: الذى عرض به القرآن الكريم سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو التعليق على الوقائع والأحداث، وذلك للإجابة على ما قد استشكل فى شأنها، أو لكشف بعض الغوامض بها، أو لفت نظر المسلمين إلى وجه العبرة والموعظة فيها. وكل ذلك إنما يرتبط بجانب ما من سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو شأن من شئونه. فهى بذلك تجلى لنا الكثير من مراحل حياته ومختلف شئونه وأعماله.

ومن ذلك قصة الإفك وما فيها من دروس وعظات، فقد أنزل الله ـ تعالى ـ عشر آيات ببراءة أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ وإدانة المنافقين والخاطئين، يقول الله ـ جل شأنه ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

إلى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

ومثل حادثة الظهار التى نزل فيها قول ربنا ـ جل علاه ـ: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة النور، الآيات: ١١ ـ ٢٠.

سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم ﴾ الآية. . . إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] وفى اسم هذه المجادلة ونسبتها وسبب نزول هذه آراء لأهل العلم[2].

وكسورة التحريم التى يقول الله ـ تعالى ـ فى أولها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الآيات[3] واختلف أيضا فى سبب نزول هذه الآيات[4].

---

(١) سورة المجادلة، الآيات: ١ ـ ٤ قال ابن كثير: أصل الظهار مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها: أنت على كظهر أمى، ثم فى الشرع كان الظهار فى سائر الأعضاء قياسا على الظهر، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقا، فأرخص الله لهذه الأمة، وجعل فيه كفارة، ولم يجعله طلاقا كماكانوا يعتمدونه فى جاهليتهم، هكذا قال غير واحد من السلف ١٠هـ. انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٤٢، دار المعرفة بيروت سنة ١٩٨٦م

(٢) انظر: زاد المسير ج ٨ ص ١٨٠، ١٨١ وأسباب النزول للواحدى ص ٣٠٤، وتفسير الطبرى ج ٢٨ ص ٦٠٥ والمستدرك للحاكم ٢/ ٨١، وسنن ابن ماجه برقم (٢٠٦٣) والسنن الكبرى للبيهقى ج ٧ ص ٣٨٢.

(٣) سورة التحريم، الآية: ١.

(٤) انظر صحيح البخارى ج ١١ ص ٢٩٥ وصحيح مسلم ج ٢ ص ١ ـ ١١ ـ ٢ ـ ١١ وأسباب النزول للواحدى ص ٣٢٥، وتفسير الطبرى ١٥٦/٢٨، وزاد المسير ج ٨ ص ٣٠٢، ٣٠٣.

كما تولى القرآن الكريم الإجابة على الأسئلة التى كانت توجه للنبى - صلى الله عليه وسلم - ومن ذلك الأسئلة التى يطرحها بعض أهل الكتاب من اليهود مثل سؤالهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الروح[1]، ولقد أجاب القرآن الكريم على سؤالهم هذا، يقول الحق - جل علاه -: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [2].

إلى غير ذلك من آيات القرآن الكريم التى نزلت تتحدث عن جوانب كثيرة ومتعددة من سيرة المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه.

خلاصة القول:-

١ - أن الفهم الصحيح لجانب من كتاب الله - جل شأنه - إنما يكون من خلال الدراسة المتأنية والفاحصة لسيرة رسول الله الكريم - صلى الله عليه وسلم - والوقوف على حِكَمِهَا البالغة، وأسرارها الدقيقة.

٢ - أن القرآن الكريم تناول الملامح العامة لسيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتحدث عنها من خلال أسلوبين:-

---

(١) فقد أورد هذا البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم ج ٢ ص ٤٧، انظر «حوار الرسول ﷺ مع اليهود» الأستاذ الدكتور/ محسن بن محمد عبد الناظر ص ١٧ فما بعدها.

(٢) سورةالإسراء، الآية: ٨٥.

الأول: تناول بعض مشاهد من حياة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وسيرته

تمثل ذلك فى الآيات التى نزلت فى وصف غزواته، وحياته مع أزواجه - رضى الله عنهن - ومعاملته لأصحابه. وأسلوبه فى الدعوة إلى الله تعالى.

الثانـى: تولى القرآن الكريم التعليق على الأحداث والوقائع، وذلك من خلال الإجابة على ما قد يُشْكِل، وكشف الغوامض التى تحيط بالأحداث، ولفت نظر المسلمين إلى ما فيها من عبرة وموعظة.

٣ - أن حديث القرآن الكريم عن ذلك إنما يأتى بإيجاز، فهو لا يتعدى بيان الملامح العامة والعرض الإجمالى السريع للوقائع والأخبار. والله تعالى أعلم.

المبحث الخامس

*** دراسة سيرة رسول الله ﷺ فيها أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة.**

إن الدارس لسيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجد فيها قدرا كبيرا من الثقافة الإسلامية، وذلك أن حياة النبى الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه، سواء ما كان منها متعلقا بالعقيدة، والأخلاق، أو غير ذلك مما جاء به الإسلام.

لقد عرض القرآن الكريم سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يدعو إلى الله ـ تعالى ـ على بصيرة، وإن الذى يطلع على سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجد أن دعوة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقوم على أساسين: ـ

الأول العقيدة، والثانى: التشريع والأخلاق.

فأما العقيدة التى جاء بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

ـ فلم يختلف مضمونها منذ بعثة آدم ـ عليه السلام ـ إلى بعثة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

إنها الإيمان بوحدانية الله، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من الصفات، والإيمان باليوم الآخر والحساب والجنة والنار. وهذا ما جاء بيانه في كتاب الله الكريم: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾(1).

هذا عن العقيدة باختصار.

أما التشريع: وهو سن الأحكام التي يُتَوَخى منها تنظيم حياة المجتمع والفرد، فإن أول ما يلاحظه الناظر إلى سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجد التطبيق الكامل لكل ما ورد في القرآن الكريم من إقامة للعدل بين الناس للمحافظة على حقوقهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم. والله ـ سبحانه ـ من أسمائه العدل، وما أنزل كتبه، ولا أرسل رسله، ولا كلف الناس بالشرائع إلا لأجل إقامة الحق والعدل(2).

يقول ـ جل شأنه ـ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ

---

(1) سورة الشورى، الآية: 13.

(2) انظر: عناصر القوة في الإسلام. السيد سابق 147.

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(١).

وإقامة العدل إحدى وظائف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي كلف بها: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٢).

ولقد أقام الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - المجتمع الإسلامي على أسس قويمة من العدالة والمساواة والتراحم؛ فقد منع الشفاعة في حدود الله، وأشاع السلام بين الناس إذ يحرم الخصومة في الباطل، وأمَّن الناس على أسرارهم وأعراضهم؛ إذ يمنع تتبع عوراتهم.

عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول:

«من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله - ع وجل - ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حت

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٥

ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله رَدْغَةَ الخبال حتي يخرج مما قال الحديث(١).

أما ما يتعلق بجانب الأخلاق فى المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه قد أدبه ربه بتأديبه الكريم، فكان خلقه كاملا؛ لأن رسالته دعوة الكمال، فهو الكمال المطلق فى التكوين البشرى.

جاء فى كتاب الإمام محمد أبو زهرة (خاتم النبيين) فيما نقله عن الشفاء للقاضى عياض فى أوصاف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث يقول: "إن خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان:

ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة، وضرورة الحياة الدنيا. ومكتسب دينى، وهو ما يحمد فاعله... إلى أن يقول:

١ ـ فأما الضرورى المحض: فما ليس للمرء فيه اختيار، ولا اكتساب، مثل ماكان فى جِبِلَّته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من كمال خلقته، وجمال صورته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وكرم أرضه، ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه، ومنكحه وماله وجاهه.

(١) أخرجه أحمد فى المسند برقم ٥٣٧٥ ج ٧، بتحقيق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر، ورواه أبو داود فى سننه، والطبرانى فى الكبير والأوسط، والحاكم.

٢ ـ وأما المكتسبة الأخروية: فسائر الأخلاق العلية والفضائل الشرعية: من الدين، والعلم، والحلم، والصبر والشكر، والعدل، والزهد، والصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن الخلق، والمعاشرة، وأخواتها، وهى التى جماعها حسن الخلق»[١].

ومعلوم أن منزلة الخلق فى الدين كبيرة، فيعتبر الخلق أهم جانب فى الإسلام بعد العقيدة والعبادة، أو هو الدين كله كما جاء بيانه فى القرآن والسنة[٢].

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «**تقوي الله وحسن الخلق**»[٣].

خلاصة القول :ـ

أن دراسة سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها قدر كبير من الثقافة الإسلامية الصحيحة، ويتمثل ذلك فيما يأتى:ـ

(١) خاتم النبيين ﷺ للإمام محمد أبو زهرة ١/ ١٨١.

(٢) انظر: أصول الأخلاق فى ضوء القرآن. دكتور عبد الستار محمد نوير، ضمن مجلة كلية الشريعة العدد السابع ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م جامعة قطر ص ٣٧٩.

(٣) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح، سنن الترمذى ج ٤ حديث رقم ٢٠٠٤ وتمام الحديث: وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الفم والفرج» وأخرجه الإمام أحمد فى المسند ج ٢ ص ٢٩١ و٣٩٢ و٤٤٢، وابن ماجه برقم (٤٢٤٦) وإسناده حسن، وصححه ابن حبان (١٩٢٣) وأورده النووى فى رياض الصالحين ص ٣٠٠ برقم ٧/ ٦٢٧.

١ ـ بينت السيرة النبوية العقيدة الإسلامية بأسهل أسلوب، واشتملت على كثير من جوانب العقيدة، فدراسة السيرة مما يعمق الجانب العقدى فى نفس المسلم، ويزيد من ثقافته فى هذا الجانب الهام.

٢ ـ وضحت السيرة النبوية الأحكام التى جاء بها الإسلام على أسس قويمة من العدالة والمساواة والتراحم.

٣ ـ أن الإنسانية اليوم بحاجة قصوى لمصلح عظيم يتخلق بأخلاق سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وذلك من خلال دراسة أخلاقه التى تضمنتها سيرته الشريفة، والتى تحمل سمات النبوة الصادقة فى مظهر معيشته وحياته.

٤ ـ أن سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منارة للسالكين، ومشرق للعارفين، خاصة عند حدوث البلاء وتلاطم الفتن والأهواء، كأيامنا المكفهرة السوداء المشحونة بالمؤامرات الدولية.

٥ ـ فى دراسة سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترقية للغة والأدب، وزيادة للثروة الفقهية؛ لأنها تعبر عن أرقى مستوى إيمانى.

٦ـ وأخيرا فإن سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها تهذيب للنفس، وتربية للروح، وسمو بالأخلاق.

المبحث السادس

*** الرسول الكريم ﷺ المعلم الناصح والمربى الفاضل والداعى إلى الله تعالى على بصيرة.**

إن إسلام الوجه لله - تعالى - هو الذروة من مكارم الأخلاق، وهو جوهر التدين، إنه الدين القويم، والنص الوحيد، النص الإلهى الفريد فى العالم كله الذى يبين كيفية إسلام الوجه لله، إنما هو القرآن، وإذا ما وصل الإنسان إلى إسلام الوجه لله كان بذلك فى ذروة الإنسانية، وفى الذروة من مكارم الأخلاق، ويتفاوت الناس فى إسلام وجوههم لله، ولا بد أن يكون أحدهم أول المسلمين، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولهم بإطلاق مطلق(1).

يقول ربنا - جل علاه -: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ ... لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾(2).

---

(1) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى: الإمام الأكبر عبد الحليم محمود ص ١٧.

(2) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين على قلب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتلقنه النبى الكريم فكان منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يلى:

١ ـ الوعى والحفظ.

٢ ـ الحكاية والتبليغ.

٣ ـ البيان والتفسير.

٤ ـ التطبيق والتنفيذ(١).

ولقد امْتَنَّ الله ـ تعالى ـ على المؤمنين ببعثة رسول الله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال ـ جل شأنه ـ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾(٢).

والمراد: (بالكتاب) فى هذه الآية القرآن، و(الحكمة): السنة المتعلمة من لسانه ـ عليه الصلاة والسلام(٣).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(٤).

(١) النبأ العظيم، نظرات جديدة فى القرآن، الدكتور محمد عبد الله دراز ص ٢٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.
(٣) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) ج ٣ ص ٤١٠، وفتح القدير للشوكانى ج ١ ص ٣٩٥.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ٢.

وقوله ـ جل علاه ـ: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾[1].

فإن الذى يُفْهَمُ من سياق هذه الآيات الكريمة، والذى تقتضيه الحكمة: أن التلاوة أسبق فى الترتيب من التزكية (بمعنى التطهيروالتربية)ومن التعليم لتفاصيل الدين.

والتلاوة إنما يفهم منها فى الغالب المعنى الإجمالى المتبادر إلى الأذهان، بخلاف دروس التعليم المتأنية[2] وعلى هذا النهج الذى أشار إليه القرآن كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسير، فكان يقرأ على أصحابه ما نزل من القرآن، ويأخذهم بالعمل أولا بأول[3].

وعلى هذا المنهج كانت توجيهات رسول الله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا غرو فى ذلك فقد أوتى المصطفى جوامع الكلم، وكانت كلماته قليلة يحصيها العادُّ، تضئ فى الحال طريق العمل، وتلبى حاجة المتعجل، وإن كان لها فى ذات الوقت أعماق لا يبلغ الدارس الواعى مداها.

ومن الأمثلة على ذلك: ما روى عن عبد الله بن بسر ـ رضى

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

(٢) أصول الأخلاق فى ضوء القرآن. د/ عبد الستار محمد نوير، بحث فى مجلة كلية الشريعة، جامعة قطر العدد السابع ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ص ٣٧٨ بتصرف.

(٣) المصدر السابق.

الله عنه - أن رجلا قال: يا رسول الله: إن شرائع الإسلام قد كثرت علىّ، فأخبرنى بشئ أتشبث به[1] قال: **«لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله»**[2] رواه الترمذى وقال: حديث حسن[3].

وما روى عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

«لاتحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقي أخاك بوجه طليق»

ومعنى (طليق) أى: متهلل بالبشر والابتسام. الحديث رواه مسلم برقم(٢٦٢٦).

وكان - صلى الله عليه وسلم - يكرر الكلام ليفهم، روى أنس - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا، رواه البخارى فى صحيحه ج ١ ص ١٦٩، ١٧٠.

(١) أتشبث به: أتعلق به، انظر هامش رياض الصالحين للنووى، شعيب الأرنؤط ص ٥٤٠.

(٢) قوله ﷺ: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله» قال الطيبى: رطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يبسه عبارة عن ضده، ثم جريان اللسان عبارة عن مداومة الذكر، فكأنه ﷺ قال: داوم الذكر، فهو على غرار قوله - تعالى - : ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه (٣٣٧٢) وأخرجه أحمد فى مسنده ج ٤ ص ١٨٨، وابن حبان فى صحيحه برقم: ٢٣١٧، والحاكم فى مستدركه ج ١ ص ٤٩٥ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، وهو كما قالوا.

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: كان كلام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلاما فصلا يفهمه كل من يسمعه. رواه أبو داود(١)

وقد كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جوار ذلك توجيهات كثيرة تتعلق بالتفاصيل، ولكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يهمل الأسلوب الذى ذكرته، بل كثيرا ما كان يعول عليه، وهو الملاحظ في إرشاده وتعليمه.

وعلى هذه التربية الكريمة نشأ أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليها درجوا، فكانوا مصابيح تضئ للناس فى ظلمات هذه الحياة، ولا عجب فلقد اقتبسوا ذلك من معين النبوة، ومنبع الفضل والكمال، فلقد ربى النبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه على روح الجهاد والكفاح والزهد فى هذه الحياة الزائلة الفانية(٢).

وقد مضى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على التبليغ فى أخبار كثيرة، ودعا لأصحابه، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«نضر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتي يبلغها غيره»**(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه برقم (٤٨٣٩) وسنده حسن، وقوله: كلاما فصلا، أى: بيّناً ظاهرا.

(٢) من كنوز السنة. الشيخ محمد على الصابونى ص ٦٤.

(٣) أخرجه الترمذى بمعناه من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ وقال: هذا حديث حسن صحيح: سنن الترمذى: ج ٤ ص١٤٢، وقد قام الشيخ الأستاذ عبد المحسن بن محمد العباد بدراسة هذا الحديث دراسة خاصة، واستوفى جميع طرقه وألفاظه، وذكر أن الحديث متواتر عن رسول الله ﷺ وقد رواه عنه أربعة وعشرون صحابيا، انظر: دراسة حديث نضر الله امرأ سمع مقالتى ـ رواية ودراية: ص ٢٢٧. وانظر: كتاب صحابة رسول الله فى الكتاب والسنة للدكتور/ عبادة أيوب الكبيسى ص ١٨٧.

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى خطبته: « **فليبلغ الشاهد منكم الغائب**»[1] وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عني ولا حرج**»[2].

ولقد بينت سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضل التعلم وآدابه وحدوده، وفضل التعليم ومنزلته، وما يجب له من شروط، وما ينبغى له من آداب، وغالت بالعلم ورفعته مكانا عليا.

ومن أدب المعلم فى الإسلام كما جاء ذلك فى سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يرفق المعلم بالمتعلم، ويأخذ بيده ويعامله معاملة الأب لولده مقتديا بالمعلم الأول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى وصفه الله ـ تعالى ـ بقوله:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرفق الناس بالمتعلمين، وأبعدهم عن التشديد والتعسير، والفظاظة، والغلظة، وهذا

(١) متفق عليه، أخرجه البخارى (كتاب العلم) باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب: ١/٣ ومسلم (كتاب القسامة) باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال: ١٣٠٦/٣.

(٢) أخرجه البخارى بلفظ: «وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج» ٢٥٨/٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

مانوه به القرآن من أخلاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[1].

وكان الرجل يأتى من البادية، ويخاطبه باسمه مجردا، ويناديه من بُعْد، ويكلمه بجفوة، وأحيانا يستوقفه فى الطريق فيسع هذا كله؛ لحِلمه وحسن خلقه، ويجيبه عما سأل وأكثر مما سأل، وقد يهم أصحابه بإيذاء السائل أو يثورون فى وجهه، فيهدئ من ثورتهم، ويسكن من غضبهم[2] والأمثلة على ذلك كثيرة[3] ومن سيرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه يشفق على المخطئ ويترفق به، فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم نموذج للرفق بالمتعلمين إذا أخطأوا.

فقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقدر الظروف ويراعى الأحوال، ويسع الناس جميعا، حتى ذلك الأعرابى الجلف الذى لم يخجل أن يبول فى ركن من المسجد أمام الناس. لم يغلظ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) الرسول ﷺ والعلم، الدكتور يوسف القرضاوى ص ١١٩ فما بعدها.

(٣) من أمثلة ذلك ما روى عن أبى أيوب أن أعرابيا عرض لرسول الله ﷺ وهو فى سفره فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله ـ أو يا محمد ـ أخبرنى بما يقربنى من الجنة ويباعدنى عن النار. قال: كيف قلت؟ فأعادها، فقال النبى ﷺ: «تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة» رواه البخارى ومسلم واللفظ له، ترغيب ٣٦٣٥.

عليه، وقابله بما ينبغى لمثله من الرفق واللين.

روى مسلم فى صحيحه،عن أنس قال: بينما نحن فى المسجد مع رسول الله ـ صلى الله علية وسلم ـ إذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد، فقال أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: مَهْ مَهْ(كلمة زجر) قال: قال رسول الله ـ صلى عليه وسلم ـ: **«لا تزرموه دعوه»** فتركوه حتى بال. ثم إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعاه فقال له: **«إن هذه المساجد لا تصلح لشئ من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله ـ عز وجل ـ أو الصلاة، وقراءة القرآن ـ أو كما قال رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ قال:**

فأمر رجلا من القوم، فجاء بدلو من ماء فشنه عليه»(1).

فقد راعى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بداوة الرجل، وظروف حياته، وعرف أصحابه أن علاج الأمر سهل فى مسجد لم يكن مفروشا إلا بالحصباء، وهو صب دلو من ماء، ثم نبههم علي طبيعة رسالتهم التى كلفهم الله ـ تعالى ـ حملها للإنسانية جمعاء، وهى التيسير لا التعسير(2).

---

(1) صحيح مسلم رقم ٢٨٥، باب ـ ٣ ـ (كتاب الطهارة) ج ١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى. وأخرجه البخارى فى صحيحه بألفاظ قريبة من ذلك.

(2) الرسول والعلم ص ١٢٢ بتصرف.

كما انطلق النبى الكريم - صلى الله عليه وسلم - فى دعوته من قول الله - جل علاه -:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾(١).

فكان - صلى الله عليه وسلم - يقتصد فى وعظه مخافة السآمة.

روى الشيخان عن أبى وائل شقيق بن سلمة قال: «كان ابن مسعود - رضى الله عنه - يذكّرنا فى كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكّرتنا كل يوم، فقال: أما إنه ما يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أُملّكم وإنى أتخولكمْ بالموعظة، كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا بها مخافة السآمة علينا». متفق عليه(٢).

وروى مسلم عن أبى اليقظان عمار بن ياسر - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «**إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته مَئِنَّةٌ من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة**»(٣) قوله - صلى الله عليه وسلم - (مئنة) بميم مفتوحة، ثم همزة مكسورة، ثم نون مشددة،

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) البخارى ج ١ ص ١٥٠، ومسلم (٢٨٢١) وأخرجه أحمد ١/ ٣٧٧، و٤٢٥ و٤٢٧، و٤٤٠.

(٣) صحيح مسلم برقم (٨٦٩).

أي: علامة دالة على فقهه(١).

خلاصة القول :ـ

١ ـ السيرة النبوية مصدر متجدد النفع للأمة الإسلامية فى إرشاد الفكر، وتوجيه السلوك، وبناء المجتمع الإنسانى على ركائز ثابتة.

٢ ـ السيرة النبوية وضعت أسس ومبادئ التعليم على أفضل ما توصل إليه علماء التربية المعاصرون.

٣ ـ كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرفق الناس بالمتعلمين وأبعدهم عن التشديد، وهذا ما نحتاج إليه فى تعليمنا للناس جميعا.

٤ ـ أخلاق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسعت الناس جميعا، فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشفق على المخطئ ويقدر ظروفه ويراعى أحواله.

٥ ـ كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو إلى الله ـ تعالى ـ بالحكمة والموعظة الحسنة، كما أمره ربه فى كتابه الكريم.

٦ـ أن دراسة سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعطى المعلم والداعية الإسلامى نموذجا حيا عن طرائق التربية والتعليم.

---

(١) رياض الصالحين للنووى ص ٣٢٥.

وختاما: أحمد الله ـ تعالى وأشكره على توفيقه لتتميم هذا البحث، وأتضرع إليه ـ جل علاه ـ أن يرزقنى حسن التمسك بسيرة حبيبنا المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن يتجاوز عما وقع فى هذا البحث من زلات وأخطاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع الأساسية(١)
مرتبة حسب ورودها فى البحث

١ ـ السنة النبوية ومكانتها فى التشريع الإسلامى.

الإمام الأكبر الدكتور/ عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت.

٢ ـ صحيح البخارى ـ انظر الجامع الصحيح ـ المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٠هـ.

٣ ـ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ٥ أجزاء ط ١ القاهرة سنة ١٣٧٤م.

٤ ـ السنن لأبى داود السجستانى، ٤ أجزاء، تحقيق محمد محيى الدين، الطبعة الثانية، القاهرة سنة ١٣٦٩هـ.

٥ ـ مجلة مركز بحوث السنة، العدد الثانى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م كلية الشريعة، جامعة قطر.

(١) أما مواضع الآيات ومراجع الأحاديث، فقد اكتفيت بذكرها فى محلها من البحث. وهناك مراجع أخرى مثبتة على هوامش الصفحات لم أذكرها هنا خشية الإطالة.

٦ ـ زاد المسير فى علم التفسير للإمام أبى الفرج بن الجوزى، المكتب الإسلامى، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧ ـ تفسير ابن كثير ٧ مجلدات، دار الأندلس/ بيروت.

٨ ـ سنن الدارمى: تحقيق محمد أحمد دهمان، ط دمشق سنة ١٣٤٩م.

٩ ـ المستدرك للإمام الحاكم، أربعة مجلدات، ط حيدر أباد/ الهند.

١٠ ـ فقه السيرة. الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطى، دار الفكر، الطبعة السادسة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١١ ـ المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومى، مكتبة لبنان سنة ١٩٨٧م.

١٢ ـ مختار الصحاح: محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى، دار الكتاب العربى/ بيروت ط ١ عام ١٩٦٧م.

١٣ ـ القاموس المحيط، الفيروز أبادى، دار الجيل ـ بيروت/ لبنان.

١٤ ـ لسان العرب، لابن منظور الأفريقى، طبعة بيروت، سنة ١٣٧٥هـ.

١٥ ـ السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى د/ مصطفى السباعى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٨٠هـ.

١٦ ـ دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه، الدكتور/ محمد مصطفى الأعظمى، المكتب الإسلامى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٧ ـ لمحات فى أصول الحديث. د/ محمد أديب الصالح، المكتب الإسلامى، ط ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

١٨ ـ قصص القرآن. تأليف محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار إحياء الكتاب العربى/ بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

١٩ ـ الاصطفا فى سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ محمد نبهان الخباز، إحياء التراث الإسلامى بدولة قطر ط ١ عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٠ ـ معجم البلدان لياقوت الحموى، دار صادر، ودار بيروت للنشر والطباعة.

٢١ ـ حياة محمد. لمحمد حسين هيكل، الطبعة الثالثة عشرة، مكتبة النهضة.

٢٢ ـ الوحى المحمدى، لمحمد رشيد رضا، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٥٤هـ المنار بمصر.

٢٣ ـ منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير. د/ فهد عبد الرحمن الرومى، مؤسسة الرسالة ط ٣ سنة ١٤٠٧هـ.

٢٤ ـ الإتقان فى علوم القرآن. للإمام السيوطى، دار إحياء العلوم العربية/ بيروت ط ١ عام ١٩٨٧م.

٢٥ ـ الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة. للقرافى سنة ٦٨٤، تحقيق د/ بكر زكى عوض، الطبعة الأولى ١٩٨٦م القاهرة.

٢٦ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ القاضى عياض، الطبعة الأخيرة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.

٢٧ ـ شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك. محمد عبد الباقى الزرقانى، مصورة، دار المعرفة/ بيروت.

٢٨ ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور. للإمام السيوطى، الناشر: محمد أمين دمج، بيروت، مؤسسة بيروت .

٢٩ ـ مجمع الزوائد. نور الدين الهيثمى ط ٢ مصورة، دار الكتاب/ بيروت ١٩٦٧م.

٣٠ ـ أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة. الشيخ حافظ بن أحمد حكمى، مطبعة المدنى، الناشر مكتبة الأقصى/ الدوحة ـ قطر.

٣١ ـ فى ظلال القرآن: الشهيد سيد قطب، دار الشروق ط ١٣ عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٣٢ ـ تفسير التحرير والتنوير. للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية ١٩٨٤م.

٣٣ ـ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير. دار القلم ـ بيروت ـ لبنان.

٣٤ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، سنة ١٩٤٩م.

٣٥ ـ تفسير الطبرى. تحقيق محمود محمد شاكر، وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر.

٣٦ ـ خاتم النبيين ـ صلى الله عليه وسلم ـ للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر

العربى/ بيروت.

٣٧ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى. ابن حجر العسقلانى، مصورة، دار المعرفة/ بيروت ١٣٠٠هـ.

٣٨ ـ عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير. ابن سيد الناس ط ٢، بيروت ١٩٨٤م.

٣٩ ـ أسباب النزول للواحدى النيسابورى، طبعة/ مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ط ١ عام ١٣٧٩هـ.

٤٠ ـ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، طبعة دار إحياء الكتب العربية: عيسى الحلبى بمصر.

٤١ ـ السنن الكبرى للبيهقى ط ١، مطبعة دائرة المعارف، حيدر أباد، الدكن/ الهند ١٣٤٤هـ.

٤٢ ـ حوار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع اليهود، د/ محسن عيد الناظر ط ١، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٣ ـ عناصر القوة فى الإسلام. الشيخ السيد سابق، دارالكتاب العربى/ بيروت ط ٢ عام ١٣٩٣هـ.

٤٤ ـ النبأ العظيم، الدكتور محمد عبد الله دراز، دار القلم/ الكويت ط ٢ عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٤٥ ـ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز) لأبى محمد

عبد الحق بن عطية الأندلسى، إدارة إحياء التراث الإسلامى بدولة قطر ط ١ عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٦ ـ رياض الصالحين. الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووى، تحقيق شعيب الارنؤط، مؤسسة الرسالة ط ٦، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٤٧ ـ سنن الترمذى. تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقى، المكتبة الإسلامية.

٤٨ ـ من كنوز السنة: الشيخ محمد على الصابونى، لم يذكراسم المطبعة ولا تاريخ الطبع.

٤٩ ـ دراسة حديث نضر الله امرأ سمع مقالتى: رواية ودراية. للأستاذ عبد المحسن بن حمد العباد، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ط ١ عام ١٤٠١هـ.

٥٠ ـ صحابة رسول الله فى الكتاب والسنة. الدكتور/ عيادة أيوب الكبيسى، دار القلم/ دمشق، والمنارة/ بيروت ط ١ عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٥١ ـ الرسول والعلم. الدكتور يوسف القرضاوى. دار الصحوة للنشر بالقاهرة ـ حدائق حلوان.

فهرس الموضوعات

هذا الكتاب

قال الله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

وقال ـ صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا رحمة مهداة».

ومن هنا كانت سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبراسًا يهتدى به المؤمنون فى معاشهم، وفى أخلاقهم، وفى تشريعاتهم، وفى فهمهم لكتاب الله تعالى ـ حيث هناك بعض النصوص القرآنية المرتبطة بحياة النبى، أو بتصرفاته فى موقف معين، ودراسة السيرة النبوية هى خير معين على فهم هذه النصوص.

وسيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها خير أسوة للدعاة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفيها خير معين تُستَقَى منه الثقافة الإسلامية النقية الخالصة...

وهذا الكتاب يجلى لنا هذه الجوانب وغيرها فى أسلوب جزل، وعبارة بليغة... والدار المصرية إذ تقدمه لقرائها الأعزاء فإنما ترجو به عموم النفع...

والله من وراء قصد... وهو نعم المولى ونعم النصير.

الناشر



الدار المصرية اللبنانية — طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبد الخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH — PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: [illegible] FAX: [illegible] CABLE DARSHADO